حق الزوجية

سليمان

UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 11 11 20 06 020 7

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

BP
179
S84
1922

Sulayman, Muhammad
Haqq al-Ru'yah

Digitized by the Internet Archive
in 2010 with funding from
University of Toronto

http://www.archive.org/details/aqqalruyah00sula

حق الرؤية

أو

حكمة الصوم و سنة الله فى الكون

للقاضى

محمد سليمان كان الله فى عونه

وهى

الخطبة التى خطب الناس بها فى غرة رمضان سنة
سبع وثلاثين وثلثمائة وألف بعد أن أنهى
المجلس الشرعى الذى جلسه فى محكمة دمياط
الشرعية انتظارا لاثبات الهلال هلال
رمضان أهله الله وأشباهه على
الأمة بالفلاح والنجاح

نشرت هذه الرسالة ملحقا لمجلة القضاء الشرعى ابتداء من العدد الثانى للسنة الأولى (ذى الحجة سنة ١٣٤٠ هـ .)

مطبعة المروءة بشارع محمد على

1929

LIBRARY
MAR 26 1973
UNIVERSITY OF TORONTO

BP
179
584
1922

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الاخوان ،

قاربنا تمام الأربعين على عيد الفصح الذى احتفلنا فيه بافطار إخواننا المسيحيين الشرقيين من صومهم الكبير لنحتفل اليوم برؤية الهلال هلال رمضان المبارك كى نبتدىء نحن المسلمين صومنا الواجب المقدر فى هذا الشهر المفضل . وهكذا يتناوب عباد الله صومهم له تعالى خاشعين خاضعين متبتلين إليه بقهر النفس البشرية التى طغت وبغت وكادت من كبرها تنسى أصلها حتى قلبت العالم رأسا على عقب . كذلك وقد فرض الله الصوم على من كان قبلنا من لدن آدم إلى عهدنا - حتى روى المفسرون أنه لم تخل أمة من افتراض الله الصوم عليها : قال تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات » وقد فرض الله على المسلمين صوم رمضان فى الآية الشريفة « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » . . الخ . وكان ذلك لعشر خلون من شعبان فى السنة الثانية من الهجرة بعد أن تدرج بهم فى فروض الاسلام من الصلاة إلى الزكاة إلى الصيام لأن الصوم أشق التكاليف على النفس إذ هو منع لها عن طبيعتها وكبح لشهواتها ورغباتها . فاقتضت الحكمة الآلهية أن يبدأ فى التكاليف بالأخف وهو الصلاة تمرينا للمكلف ورياضة له، ثم يثنى بالوسط وهو الزكاة لأنها فى المال، ويثلث بالأشق بعد ذلك وهو الصيام .

والصوم عندنا ربع الايمان بمقتضى قوله عليه الصلاة والسلام « الصوم

نصف الصبر » و « الصبر نصف الايمان » وهو الركن الرابع من قواعد الاسلام الخمس التى ترمز لها دوله على راياتها وشاراتها بالنجمة ذات الأطراف الخمسة. ولو كان هذا الدين من أديان الرموز لقال الربانيون فيه إن تقويم الانسان بأطرافه الخمسة رمز لتلك القواعد المقدسة. واختص من بين العبادات بباب فى الجنة يقال له الريان لايدخل منه إلا الصائمون فاذا دخلوا منه أغلق فلم يدخل منه أحد. وميزه الله تعالى بنسبته إليه فى الحديث القدسى عن سيد البشر : يقول الله تعالى « كل عمل ابن آدم فهو له: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به . يدع شهوته وطعامه وشرابه لأجلى ؟ للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه » وبلغ من فضل رتبته وعظيم منزلته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بالذى نفسه بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك. وقال وكيع فى قوله تعالى « كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخاليه » إنها أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب ،وفى قوله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » قيل كان عملهم الصيام لأنه من الصبر وقد قال تعالى « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا لايدخل تحت وهم ولا تقدير . وهذا شأن العطاء الالهى إذا أضيف إلى جانبه الكريم لأنه تعالى نسب الصوم له وجعل جزاءه من عنده خارجا عن جزاء الحسنات . ومع أن العبادات كلها لله إلا أن الصوم تميز من بينها بهذه النسبة القدسية تشريفا له عليها . وقد بين الامام الغزالى حكمة هذا النسب فى معنيين قال « أحدهما أن الصوم كف وترك ،وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد، وجميع أعمال الطاعات يشهد من الخلق ومرأى والصوم لايراه إلا الله عز وجل فانه فى الباطن بالصبر المجرد . وثانيهما أنه قهر لعدو الله عز وجل فان

وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب: ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » وقال عليه السلام لعائشة رضى الله عنها : داومى قرع باب الجنة. قالت: بماذا؟ قال: بالجوع. فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل .. الخ . . »

وقد قسم الأستاذ الصيام إلى ثلاثة أقسام : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ـ فأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة البهيمية ، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام ، وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية . اهـ . وإذا لم نطمع فى صوم خصوص الخصوص ـ وندعو الله تعالى ألا يحرمنا منه ـ فلا أقل من الوسطى لأن صوم العموم لا قيمة له مع الحديث الشريف « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش » تفسيره أنه صام عن الطعام وأفطر على الآثام. وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »

الصوم ـ أيها السادة ـ تخلق من العبد بخلق من أخلاق الرب تعالى وهو الصمدية التى يلزم من معناها الاستغناء لأنه إذا امتنع عن أسباب الشهوات من المآكل والمشارب والمناكح فقد استغنى عن جل أسباب الدنيا ، وهو اقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بقدر الامكان إذ أن مرتبة الانسان بين البهائم والملائكة رفعه عن الأولى نور العقل وحطه عن الثانية ظلمة

الشهوة وقد ابتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات سفل والتحق بغمار البهيم ، وإذا قمعها علا وتعلق بأفق الملائكة وهم من الله مقربون . فمن اقتدى بهم وتشبه بأخلاقهم قرب من الله قربهم فان الشبيه من القريب قريب . وهذا سر من أسرار الصوم أوضحه الغزالى فى ربع المهلكات من كتاب الاحياء : قال « أما بعد فان أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وشهوة الشبق إلى المنكوحات ، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة فى المال والجاه اللذين هما وسيلة إلى التوسع فى المنكوحات والمطعومات ، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ، ثم يفضى ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغى والمنكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء . ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجارى الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك فى الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا » اه . وهذا التناسق الأخلاقى الايجابى فى الشرور الذى بناه الامام الغزالى على الشبع جمعه الله تعالى فى كلمة واحدة « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وعلماء النفس يقولون إن الأخلاق بنات الأخلاق ، وإذا كانت الأشياء التى فى الدنيا محدودة معروفة بفواصل مبينة فانه لاحدود بين الأخلاق التى من شاكلة واحدة ولا فواصل : فالحقد

والبغض والحسد والنفاق والرياء أخلاق لا يمكن أن نفصل بينها ونقيم لكل منها حدا ، بل هي متداخلة بعضها في بعض كما نشأ بعضها من بعض وسرى منه ووجد به . فليس بعجيب ولا غريب هذه النظرية الحقة. ولكنها الواقع المذهول عنه . ولهذا المعنى العظيم قال صلى الله عليه وسلم « ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » إذ منه نتجت هذه الشرور الكبار .

يقابل الشبع وما نتج عنه من الشرور الجوع وما ينتج عنه من الفضائل - فمن أعظم مزاياه كسر النفس وذلها وزوال بطرها وأشرها وهو مبدأ طغيانها وانبعاثها في جرائمها . ولا تذل النفس بشيء بمثل ما تذل بالجوع وتقعد منه عن العظائم التي إن همت بها فلا تجد فيها قوة عليها ولا منة لاتيانها ، وإذ ذاك تسكن لربها وتخشع له بعد أن وقفت على عجزها من لقمة طعام فاتتها وشربة ماء ماأتتها . وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه لا يشاهد عز مولاه لأن الاضطرار يلجئه إليه ويقفه ببابه ويذكره به فاذا تذكر ربه انتهى عن الفحشاء والمنكر ، وانبعث لما يرضيه ويأمر به . وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان. ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم . وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها ، والجوع يكفي شرها لأنها من بنات شهوة البطن . تلك فضيلة الجوع عمود الصيام ، وهي أسمى الفضائل لأنها سلب الشرور وتذكرة العبد بالرب - منهاة عن المنهيات ومبعثة للواجبات . وهو تعالى لا يأمر بالفحشاء إنما يأمر بالعدل والاحسان « قل أمر ربي بالقسط » « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » إلى آخر الآيات الشريفة في هذا الباب - ولفضيلة الجوع هذه كان مطلب الأنبياء والصديقين والشهداء ومدار وصاياهم لتلاميذهم وأوامرهم لأتباعهم - حتى روى أنه ما لاقى نبي ربه إلا على جوع . وكانت عائشة رضى

الله عنها تقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلىء قط شبعا، وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع ـ وقال سيدنا عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين، أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ـ وفى التوراة : اتق الله، وإذا شبعت فاذكر الجياع ـ وقال سهل بن عبد الله التسترى : لم ير الأكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا. وقال : وضعت الحكمة والعلم فى الجوع، ووضعت المعصية والجهل فى الشبع ـ وقال أبو طالب المكى : مثل البطن مثل الزهر ـ وهو العود المجوف ذو الأوتار ـ إنما حسن صوته لخفته ورقته ولأنه أجوف غير ممتلىء . فكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام.

للصوم ، أيها الاخوان ، فوائد شخصية وفوائد اجتماعية ـ والشخصية تعم الأدبية والجسدية فقد انتظمها قوله عليه السلام «صوموا تصحوا» إذ أن الأمراض من كثرة الأكل وحصول فضلات الأخلاط فى المعدة والعروق. ولذلك جاء فى الأثر «البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء» وروى ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت من طريق وهب بن منبه قال «أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت» فالصوم يذهب الرواسب العصبية والفضلات المعدية والأخلاط المرية، وهو يطيل العمر ويقوى الجسد ويريح الآلات الجسمية من عناء أعمالها فى عامها إذ كل آلة لا بد لها من راحة . فالصوم فى العام راحة الآلات ، وهذا معنى الحديث «لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الجوع» أى إنه مطهرة للجسد وعون له على البقاء .

أيها الاخوان ، لم نر طبيبا فيما وصف إلا ويقدم فى وصفته الحمية ويجعلها أصل التذاكر المحفوظة. ماذا كم إلا أنه تطابقت حكمة الأديان مع طب

الأبدان.

ومن أعظم الفوائد الشخصية أدبا وسموا أن الصوم يصفى الفكر ويوقد القريحة وينفذ البصيرة وينير النفس البشرية لتتلقى الفيوضات القدسية والاشراقات الربانية. ولهذا المعنى اللطيف كره العارفون أن يفسد الصائم فى ليله ما استفاده فى نهاره. يشبع بالليل فيضيع ما انتفع به من جوع النهار إذ الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ حتى يحتوى على القوى المفكرة فيثقل العقل عن الجريان فى الأفكار وسرعة الادراك. بل جرب ذلك فى الصبيان إذا أكثروا الأكل قل حفظهم وبطؤ فهمهم.

فالصوم مرقاة نورانية، ومشكاة لمن أراد أن يستنير عوالم الملكوت. ولما واعد الله موسى ثلاثين ليلة كان الأجل لكى يصفو موسى للقاء ربه بالصوم: قال البيضاوى «إن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل بمصر أن يأتيهم - بعد مهلك فرعون - بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين. فلما أتم أنكر خلوف فيه فقسوك، فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا». وفى الاحياء: أن عيسى عليه السلام مكث يناجى ربه ستين صباحا لم يأكل. فخطر بباله الخبز، فانقطع عن المناجاة، فاذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكى على فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله، فقال له سيدنا عيسى بارك الله فيك يا ولى الله، ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة، فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى. فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالى من عرفتك فلا تغفر لى.

يقول الطب الحديث، أن أسهل انسان يموت من الجوع بعد خمسة عشر يوما، فلا يهولنهم سيدنا عيسى عليه السلام، فقد كان يطوى أربعين يوما، وطوى بعض الزهاد الأشراقيين ستين يوما، وهذا من الرياضة وحمل الجسم على الروح، وتغذيته بقوتها وأرادتها أن يعيش معها. وأن هذا الأشراق مدرك عال جداً فيما وراء المادة ثابت بالقطع لا ينكر. يضاف الى تلك الصحة وهذا الصفاء فضل الاقتصاد، فبالصحة استغني عن الأدواء والأطباء وبكف النفس توفرت حاجياتها، وأثمان الزائد عن ضرورياتها، واكتسب من هذا الاقتصاد ثواب البر بما يضعه في وجوه الخير أن كان من الموسعين، أو عز القناعه أن كان من المعوزين

ومن فوائده الأدبية أيضا إحساس النفس بألم الصوم فتتذكر به ألم العذاب فترتدع عن المعاصي، وألم الناس فتنبعث الى ما يخففه، وكل غريب للغريب نسيب. وأكبر فوائده كسر شهوات المعاصي كلها، والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، فأن منشأ المعاصي الشهوات والقوى، ومادتها باعطاء النفس رغباتها، فأذا صمت عنها أضعفتها فملكت نفسك، وأن واتيتها قويت فملكتك

وفوق هذه الفوائد الفائدة الاجتماعيه العظمى من أحساس الصائم بأحساس الفقراء والمساكين، والقانعين والمعترين، فيتذكرهم ويتعهدهم، ويعلم أن ما بهم به، وأن ما فيهم عليه زواله، فلا يعلم الشوق ألا من يكابده، والأسي يبعث الأسى، وفي هذا مادة الزكاة والصدقة ركن الاجتماع الأعظم. أما فائدة الفوائد فهي أن الصائم الكامل المتمسك بالصوم الحقيقي المجزئ، أنما هو فرد فاضل، والمجتمع من أفراد، فأذا كانو فضلاء كان بلاشك فاضلا وهذه غاية الغايات، وكل هذه المعاني والحكم التي يستطاع الزيادة فيها جمعها

القرآن فى كلمة ختم بها آية الصوم « لعلكم تتقون » فالصوم لحكمة اجتماعية عظيمة مقصود بها تكون هيئة فاضلة خيرة . ولعل من ألطف المناسبات لتخصيصه برمضان ، أن هذا الشهر أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وقد أنزل من بيت العزة ، ومهبط الحكمة ، ومشرق النور الصافى ، والصوم يصعد بالصائم إلى هذا المستوى العالى القدسى ، فكان من المناسب أن هذا الشهر النوراني في علوه ، ينبغى أن يكون نورانيا فى سفله أيضا ، وأن يصعد بالسفلى إلى العلو فيكون الكمال الكامل ، والصفاء النوراني الشامل

من هذا ترون أيها الأخوان حكمة الصوم ، أحد أركان الأسلام ، ولو كان المقام مقام بيان حكمة هذا الدين وفضله لأضبنا ، أذ أن لكل مقام مقالا ولكن اسمحوا لى أن أسرد على أسماعكم بعضا من آيات الذكر الحكيم الذي نزل فى هذا الشهر (هدى للناس وبينات من الهدي والفرقان) لعلنا نجد فيها منفذا نستنير به في الدياجى المدلهمة علينا هذه الأيام . قال تعالى (وأن يمسسك الله بضر فلا كاشف له ألا هو ، وأن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) فلا يكشف الضر ألا الله ، ولا يكشفه ألا باتباع السنة التي وضعها ، وسلوكنا الطريق المستقيم الذى دلنا عليه ، فأنه تعالى فى عدله قضى بقوله (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) فلم يحاب فيها مسلما ، ولا استثنى منها كتابيا ، بل وضعها لخلقه أجمعين ، وكرر حكمه عليها بالمضاء الأبدى والنفاذ السرمدى (ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) . والجاهل من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، والكيس من دان نفسه وسمع قوله تعالى (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال)

أيها الأخوان، أننا الآن نسكن في مساكن فرعون وجنوده فلننظر ماكانوا عليه ولنفكر فيما ابتلوا به، ولنعرف لماذا أورث الله أرضهم لبني أسرائيل، ثم دالت بهؤلاء الأيام حتى ورثها عنهم غيرهم، وكر الليل والنهار على من خلفهم، وأتى من بعدهم دول قامت ثم بادت، وقرون عاشت ثم ماتت، وأجيال مروا على أديم مصر حتى ورثناها منهم، ولننظر في سير الأمم قبلنا، وكيف بارت وكيف عظمت، فالله تعالى ماقص في قرآنه قصصهم ألا لنتعظ بهم - بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين أنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا أليك هذا القرآن وأن كنت من قبله لمن الغافلين. وقال تعالى «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» وقال «ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر» وقال «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات ألى النور وذكرهم بأيام الله أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور». وقال «ولقد أنزلنا أليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين» فاسمعوا أيها الأخوان مايقول الديان (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقد بين سبب أخذه لهم بالعذاب في قوله (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) . ولم تغن عنهم قوتهم ولا آثارهم، أذ لم يتبعوا اسنة العمران، بل أن علومهم شابهتها عليهم، وانقلب علمهم الذي فرحوا به وبالا لهم، ودمارا عليهم، فقال «أفلم يسيروا في الأرض فينظروا

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - وكذلك تكون دائما عاقبة المجرمين كما قال «قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين» وقال «أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم أن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون »

نعم أن فى مصارع القرون التي قبلنا الآيات لنا أن كنا نسمع ونعقل، وقد ترك الله تعالى فى كل مصرع منها آية لمن يأتى بعدها، حتي يتعظ بها وقد قص الله علينا قصصهم، وبين سبب بلائهم، وعقب كل قصة منها بذكر الآية فيها والتحذير لسامعيها، ففى سورة الذاريات بعد أن ذكر مهلك قوم لوط بأجرامهم قال (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) وجعل هذه الآية في مصارع القرون الأخرى، وقد ذكر شيئا من مفاسقهم، وهذا سياق القرآن من أول خطاب سيدنا أبراهيم للملائكة المرسلين لعذاب قوم لوط قال . (قال فما خطبكم أيها المرسلون. قالوا أنا أرسلنا الى قوم مجرمين ، لنرسل عليهم حجارة من طين ، مسومة عند ربك للمسرفين . فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم. وفى موسى أذ أرسلناه الي فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم. وفى عاد أذ أرسلنا عليهم الريح العقيم. ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم. وفى ثمود أذ قيل لهم تمتعوا حتي حين. فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون. فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين، وقوم نوح من قبل أنهم كانوا قوما فاسقين) كذلك ايها السادة لم تهلك أمة الا بتنكبها عن طريق الحياة

الذى نصه الله لها وهو طريق الصلاح والاستقامة، ولم ينذر الانبياء أممهم ألا بعواقب معاصيهم ،وقد نظروا بنور الله مصير أمورهم ، وانتهاجهم فى معايشهم خلط الاعوجاج المؤدية بسالكيها الى الدمار .

أيها الاخوان! أن الامور التي ترفع الدوله وتحطها أمور صادقة حاقة واقعة لامحالة،وقد هول القرآن فى شأنها،وسمى من سور سورة باسمها،فقال (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) ثم ضرب مثلا على من كذب بها فهلك فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية،وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الخ) قال المبرد ، القارعة مأخوذة من القرعة من رفع قوم وحط آخرين ،وفي هذا المعني العظيم ورد ثلث القرآن الحكيم فأنه أخبار، وأحكام ،وتوحيد،ولم يسق الأخبار اعتباطا،بل صراطا،وقد جمعت لكم منها أكثر من مائة آية وآية ،ولو لا ضيق المقام لسردنا لكم لتبينوا الآن مواقفكم ومزالق أقدامكم

(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أنا من المجرمين منتقمون) ومن تمام عدله تعالى ، أنه وعظ وأنذر، قبل ان ينتقم ويدمر ،قال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى ألا وأهلها ظالمون) ولقد قلت لكم ، أن من حكمة القرآن، أنه بين فى كل قوم سيئاتهم ، وسبب عذابهم ،ففي سورة هود مثلا حكايات قوم نوح ، وعاد ،وثمود ، وقوم لوط،وأصحاب مدين،وفرعون وجنوده ،وذكر مفاسقهم ومخالفاتهم ،وذنوبهم ومعاصيهم ،وابتغاءهم الحياة عوجا ، ثم أهلاكهم وانواع عذابهم ،ولما فرغ من قصصهم ختمها بهذه الآية المبدعة (ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد،وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما

جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك أذا أخذ القرى وهى ظالمة. أن أخذه أليم شديد) . وهاؤم اسمعوا أمثلة من آيات إخرى ، قال «وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة » وقال « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ألا قليلا وكنا نحن الوارثين » وقال « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الألباب، الذين آمنوا قد أنزل الله أليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات ألى النور »

أن عذاب الله للأمم بما يشاؤه تعالى وما يستحقونه، وكله كما سمعتم بأسباب ظلمهم، كما قال « فأصابهم الله بما كسبوا - فأصبناهم بذنوبهم ألخ .. ألخ » شبه بالأستئصال، كما أغرق قوم نوح وفرعون وجنوده. وأرسل الريح العرصر على عاد، والصاعقة على ثمود، والظلة على أصحاب الأيكة والرجفة على أهل مدين . ومن هذا النوع الزلزال والبركان والخسف . ألخ وقد يكون بالمسخ كأهل السبت، قال تعالى (وأذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة ألى ربكم ولعلهم يتقون، فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون. فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) فترون أيها الأخوان أن المصلحين جعلوا مواعظهم للفاسقين أقامة لعذر الله فيهم أذا أهلكهم بمعاصيهم، ورجوا أن ينفعهم نصحهم فما انتفعوا، فأخذهم العذاب الشديد البئيس بفسقهم ولم يزدجروا وعتوا عما نهوا عنه بعد شدة العذاب عرفوا بمسخهم وأخراجهم من صف الآدميين ألى كونهم قردة خاسئين

وقد يكون العذاب بنقص الأرض وأضعاف الدولة وانغلابها كما قال تعالى «أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون» وقد يزيد العذاب في هذا النوع فينفش الأمة في الناس عبيدا لا ريح لها، ولا دولة تضمها، إلى أجل هم بالغوه كما سيجىء في قصة بنى اسرائيل. وأشد أنواع هذا العذاب حكمه على الأمة ألا تقوم لها شخصية دولية أبدا إلى يوم القيامة، كما قال تعالى « وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) وقال فيهم (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، أن ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

ومن أكثر أنواع العذاب الذى يعاقب الله به الأمم أن يرسل أمة على أخرى تعذبها وتذيقها الوبال والنكال، جزاء بما كانت تفسق وتهمل، حتى أذا استقامت رفع عنها عذابه عليها، فأن عادت عاد، كما قال تعالى « وقضينا إلى بنى أسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فأذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » قال الخطيب فى تفسيره، لما حكى الله تعالى عنهم أنهم لما عصوا سلط عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبى ولما تابوا أزال الله عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة، عند ذلك ظهر أنهم أن أطاعوا الله على حسب الأمر فى الكتاب الداعى إلى العدل والاحسان فقد أحسنوا إلى أنفسهم، وأن أصروا على المعصية بارتكاب المحرمات والافساد فقد أساءوا أنفسهم، وقد تقرر فى العقول أن الاحسان إلى النفس حسن مطلوب. وان الاساءة إليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى (أن احسنتم أحسنتم

لأنفسكم وأن أسأتم فلها)فلم يتعظوا بذلك الدرس القاسى، وتنكبوا الطريق فعوقبوا أشد عقاب، كما قال (فأذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وأن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) وبعد هذا كله لم يقطع عليهم برحمته الأمل من أعادة الدولة أذا عادوا لأحيائها باتباع الصالحات، وعمل ما يقيمها على قواعد الخير وأساس الفضيلة الباقية المنتجة للسعادة

أيها الأخوان ،أن عذاب الله للأمم على معاصيها وانحرافها عن طريق الحياة لاتسلم منه أمة يكون بها أسبابه ومقتضياته ،وهذه آيات القرآن ناطقة بعموم الحق الصادع ، قال تعالى (أن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين)وقال «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وقال «فهل ينتظرون ألا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا أني معكم من المنتظرين» وقال «فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين » . وقال «أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم أنهم كانوا مجرمين »وقال «أن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين » . وقال «أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون، أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله ألا القوم الخاسرون» .وقال «أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون ». فعذاب ربكم واقع لامحالة على كل أمة عتت عن أمره وخرجت عما حد لها ،وأن أمهلها فهو استدراج لها كما قال تعالى « وكم من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وألى المصير» .وقال «فذرنى ومن يكذب

بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم إن كيدى متين» إذ أن للأمم حياة وأجلا كما أن للأفراد حياة وأجلا يتبعان سنة الكون المسنونة ـ قال تعالى «وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ـ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون» وإذا كان سوط عذاب ربكم مصبوبا دائما على ذوى النقم، فانظروا معى رحمكم الله بماذا تستحق الأمم أن تعيش وتحيى ـ بعد أن علتم ما أهلكها وأفنى ـ قال تعالى «ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون. إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين» وقال «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» وقال «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا»

وهنا دقيقة أستلفتكم إليها وهى أن الصبر حمل النفس على ما تكره، فصبر بنى إسرائيل الذى أورثهم الأرض ـ صبرهم على مظالم فرعون وجنوده ـ كان بتمسكهم بقوميتهم، وديمتهم على ما يقيهم ويحفظهم ويبقى لهم حياتهم ـ رغم ما يكيدهم به فرعون وقومه ، ويعملون على إذلالهم وإماتتهم ، ويسومونهم سوء العذاب يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم وفى ذلكم بلاء عظيم. وكانوا فى أنفسهم صابرين على هذه المكاره ـ إذ لم يكونوا مشايعيه ولا مشاكليه حتى يهونها عليهم وحدة الميول والطبائع، بل كانوا أمة مستقلة قوية فى حياتها صابرة على الأذى فى وجودها، فلم تحملهم هذه المظالم على أن يخنعوا لمرتكبها أو أن يرضوا به وبعمله أو أن يحسوا باحساسه ويستحسنوا استحسانه . أما إذا قبلت الأمة ما يفعله الظالم بها ، واستنامت إلى طغيانه فيها، فما ينزله بها من المحن وتسكت عنه لا يعد صبرا منها ـ لأن أنفسها لا تنفر بطبعها منه، فكان

حطا إليه وميلا له،فلا تتخلق بذلك فضيلة الصبر المورث العاقبة،وإنما تكون بها رذيلة الاستنامة إلى الظلم والطاعة للمستخف،وهى فسق يورث الدمار، وآية ذلك قوله تعالى « فاستخف قومه فأطاعوه ـ إنهم كانوا قوما فاسقين » فترون أنه رمى قوم فرعون بالفسق لما أطاعوه فى استخفافه بهم وحطوا إلى هواه ومالوا إلى ظلمه ،فانتقم الله به منهم،ثم انتقم منه،وأغرقهم أجمعين،وأنجى الذين آمنوا وكانوا صابرين.وهذا المشهد العظيم كان على مقربة منكم عند مدينة القلزم فى زور البحر الأحمر . وكذلك لا يزال الدهر يتكشف عن أمم يقفها بمصاف الدول ،ويرفعها إلى عز الوجود الأنوى ـ بعد أن يرفع عنها إصرها والأغلال التى كانت عليها إذلم تقو على دهدهتها و إزالة عصبيتها.ومتتبع الأخبار فى هذه الأيام يقرأ كل يوم جديدا عن ولادة دول كانت تجاهد فى الحياة فهديت إلى سبيلها رغم تعمية الظالمين عليها:فهذه بولونيا وبولاندا والسلوفاك واليوغوسلاف، ومن قبلها الصرب واليونان ورومانيا والبلغار..وقفت فى صفوف الدول الحرائر وأعتقها الله من رق حكوماتها الكبائر ـ ذلكم بأنها حافظت على كيانها وعلى إرادتها أن تتحرر ، وصبرت على ما نالها فى ذلكم الحفاظ من العظائم والأخطار ، فتم لها مارامت ، وحق لها ما كان لبنى إسرائيل بصبرهم من قبلها ـ ورثت أرضها وديارها ،وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.وصدق الله فى قوله «إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين» قاله على لسان سيدنا يوسف الصديق بعد ما أولاه بتقواه وصبره ملكا واقتدارا ـ حتى جاءه الباغون عليه والمعتدون حدود الله فيه ،مستجدين أهواء ، يقولون له « يأيها العزيز ،مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ـ إن الله يجزى المتصدقين» ثم بدا لهم من بعد ما رأووا الآيات أن هذا العزيز عزيز مصر يوسف

أخوهم ـ رفعه عليهم عز الطاعة، وحطهم لديه ذل المعصية، ولكنهم عجبوا كيف نجا من كيدهم ثم عز على مصر وسادها، وكادوا يشكون، فأجابهم الصديق بما يزيل شكهم ويرفع عجبهم، وقال « أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا » وبين لهم سبب هذه المنة منة النجاة من الكيد ومنة التمكين في الأرض، فقال « إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » ولا أنوع في الامثال، فان هذه سنة الله وعادة التاريخ حتى يكاد لا يكون فيه جديد. فأما الأمة التي تطوق عنقها برمة المتفرعن عليها[1] وتصطبغ بصبغته وتطبع بطابعه، فهي مطية الراكبين وبقرة الحالبين من عزبز ومن غلب سلب، وهي بين هذه الأطوار وتحت تلك التقلبات دمية لا تحس و..

كرة ضربت بصولجة   فتلقفها رجل رجل

مركل الأرجل ومداس النعال

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

....

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا   كاسفا باله قليل الرجاء

وقال تعالى، وقد ذكر الصفات التي تجعل لأصحابها عقبى الدار ـ صفات المتذكرين أولي الألباب الصالحين للحياة « إنما يتذكر أولو الألباب: الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة ـ أولئك لهم عقبى الدار » وقال « فأوحينا إليهم (الرسل) لنهلكن الظالمين

---

١ ـ المتفرعن المتخلق بخلق الفراعنة.

ولنسكننكم الأرض من بعدهم ـ ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد ، وقال، وقد ذكر الصفات التى تفلح المتحلين بها وتورثهم الدنيا والآخرة « قد أفلح المؤمنون : الذين هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ـ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » وقد وعد تعالى هؤلاء الخلفاء الصابرين الخائفين مقام ربهم ووعيده العاملين الصالحات المتعظين بالعظات المتصفين بتلكم الصفات الفاضلات .. وعدهم أن يدافع عنهم وأن ينصرهم ، وهو القائل « يأيها الناس ، إن وعد الله حق » فقال ، وذكر صفات الدولة التى تستحق دفاعه ، والأسباب التى تظل بها عالية « إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز. الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور » هؤلاء هم الذين قال فيهم « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء » هؤلاء هم الذين وعد بنصرهم دنيا وأخرى ، فقال « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار » هم الذين قال الله فيهم « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما

يشاء » هم الذين قال فيهم « إن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. وجعل لهم الغلبة بولايته فقال « ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » وهذا أيها السادة معنى العدل الالهي ـ العدل المطلق لأي مستحق يكون، وبالنسب يتنزل، وعلى الصفاة ينزل ـ لا يعرف فيه إلا الجزاء للعمل، ولا يستوي أمامه المسيء ولا المحسن « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » فاعرضوا مصر أيها الاخوان على حالها الآن، واعترضوا أو ارضوا. فكروا في أنفسكم من أفراد وهيئات وحكومة لتروا أن ما نحن فيه من أنفسنا أم من غيرنا، وبعدل سماوي أم بظلم، فحاشا للرب أن يظلم ـ: أما أحوالنا أفرادا فكل فرد منكم خطيب بها، وأما أحوالنا هيئات وجماعات فما أغناكم عن التذكير بها، وتعالوا بنا ننظر في قوام أمورنا ونظام حياتنا. يقول الله تعالى لنا ثلاث آيات في ربع واحد « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » فكافرة وظالمة وفاسقة الأمة التي لا تحكم بما أنزل الله، فانظروا في أنفسكم: هل يحكم بما أنزل الله بينكم؟ قوانيننا التي بيننا وكتاب الله الذي نبذناه وراء ظهورنا شهود عدول على مانزل بنا. وقد كانت الأمة التي تريد أن يصيبها الله تتولى عنه ليصيبها ببعض ما اجترمت، وأكبر ما تجترمه أن تتولى عن شرعته ومنهاجه كما قال تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض

ذنوبهم، وإن كثيرا من الناس لفاسقون » وليت كانت الفتنة عن بعض ما أنزل الله ، بل عمت الجل إن لم نقل الكل : إن الربا فينا رسمي، والزنا محمي ، والخمر مباح، والكفر بواح ، والدين مكسور الجناح، والشر مفتوح النواحي - يقول الله تعالى «ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا» ويقول القانون : لا سلطان لوليه الشرعي بل لوكيل النيابة - ويقول تعالى «فمن عفى وأصلح فأجره على الله » ويقول القانون : مهما عفى المجنى عليه فلا عبرة بعفوه ولا قيمة له - ويقول الله «السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما» ويقول القانون: كلا لا قطع - ويقول الله «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » ويقول القانون: لا جلد - ويقول الشارع: الزانى المحصن يرجم، ويقول القانون: زنا الرضا مباح ولا عقاب عليه ولا رجم فى حال ما، وأدهى وأنكى أنه جعل الجرائم كلها فى يد النيابة - إلا الزنا فجعله حقا للزوج وحده مع أن للزوج أن يفارق زوجته - والعار ملطخ بأبيها وقرابتها ولا يمكنهم مفارقتها، ومع هذا لم يجعل لهم حقا ولا شبهة حق فى طلب العقاب عليه - يقول الشرع: من قتل غير معصوم الدم لا يقتل ، ويقول القانون: بل يقتل - ويقول الله «والذين يرمون المحصنات من النساء ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة» ويقول القانون: لا يجلدون جلدة ولا نصف جلدة - ويقول الله (وأحل الله البيع وحرم الربا) على هذا الاطلاق، ويقول القانون: ولكنى أحل الربا إلى قريب من عشر الأصل - ويقول الشرع: فى المعاصى التعزير، ويقول القانون : لا تعزير إلا على ما أنص عليه، ولم ينص رحمكم الله على تعزير من يهدم قاعدة من قواعد الاسلام أو فضائل الدين . يعاقب القانون أيها الاخوان من يهدم طوبة واحدة من قبر ميت ، ولا يعاقب من يهدم بناء الهيئة الاجتماعية التى شادها الله على قواعد دينه وأحكام حدوده.. حتى هدمت معالمها ، وهتكت حدودها تلك الحدود التى قال فيها صاحب هذم

الدين الذى نشهد له بالرسالة عن الله « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وجعل إقامة الحد فى الأرض خيرا لها من أن تمطر أربعين يوما . ولا أطيل فى التفصيل فالقلوب دامية والنفوس سامدة، فهل الاسلام مخطىء ياقوم ، أم الزمان المخطىء ، ونحن نتجرع الآن مرارة خطئه ؟ ! نسينا الله فأنسانا أنفسنا . نبذنا كتاب الله فبئس ماصنعنا . كنا كمن قال فيهم « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » أليس من العار الوطنى أن يصدر الحكم من مصرى على مصرى ، ولمصرى ، وفى محكمة مصرية باسم الجالس على سرير مصر ، ثم يكون هذا الحكم من قانون غير مصرى ، بل من غير قارة أفريقيا كلها ؟! شريعتنا التى صلحت لكل زمان ، والتى كانت ومازالت أغنى الشرائع كلها ، وفقهاؤها لم يتركوا شاذة ولا فاذة إلا أحكموها ووضعوا لها نصها ، ولهم من المذاهب والآراء والأفكار مالا تكاد جزئية تند من محيطه من بسطة التشريع عندهم وسعة حرية أفكارهم ، والتى يتسع صدرها لكل من يأخذ أى قول فيها ولا يخالف الكتاب والسنة ، والتى بلغ من عظم غناها فى كتبها أن بعض الطاغين عليها نهب بعض مكاتبها فكانت جسرا لجنوده عبرت عليه الدجلة ثم كان هذا الجسر العظيم وكأنه لم ينقص منها شيئا ، والتى استعار بعض مذاهبها نابليون فيما صاغه من قانون جعله فخره على وجه الدهر ، ثم أخذ منها بعده الألمان واليابان ... يصح ياقوم أن تترك قصيا ، وتتطفل على غيرنا فى شرعنا ، ونضرب الحجر لينبجس منه ماء أجنبى لا يروينا ويحرنا العذب أمامنا ؟ أنحكم أنفسنا بغير حكمنا ، ونطبع بلادنا بطابع غريب ليس من شكلنا ؟

وضع قانون العقوبات المصرى ثانى مرة فى سنة ١٩٠٤ ، وفى سنة ١٩١٦ جاء السير برونيات مستشار حقانية مصر يقول فى حفلة نقابة المحاماة المختلطة

له عن هذا القانون: إن أصله هندى ! ومن قبله قال عنه موسيو جرنمولان الفرنسوى: إنه فرنسوى! فبعد اثنتى عشرة سنة من وضعه يقوم الانجليزى يقول فى القانون المصرى الذى يحكم مصر إنه هندى ، ويناقشه الفرنسوى بأنه فرنساوى ، ويستمر الخصام بينهما زمانا، ولا يجرؤ مصرى بحق أن يرفع رأسه ويقول لهما : على رسلكما فانه مصرى ! . ماهذه الاعتراضات التى نعترض بها على أنفسنا؟ إنها هى من أنفسنا ـ لأننا نحن الذين وضعنا القوانين من عشرات السنين، واخترنا لنا بدون تحكم علينا ـ أيام كان المصرى هو المقنن لبلاده ـ أن نخرج عن شرعنا ونتشبه بغيرنا وهو لا يشبهنا ولا مشاكلة تجمعنا، فأصبنا بذنوبنا وبأعمالنا، والعقاب للعاصى عديل، وصدق الله العظيم فى قوله «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» أليس من العار المخجل أن ترجع محاكمنا المصرية إلى جرانمولان والبندكت ودالوز ومحاكم السن واللجنيف وبروكسل ! حتى لقد قرأت مرة هذا العزو لفقرة واحدة فى حكم واحد (انظر بلا نيول طبعه ثانية ج ٢ ص ٦٣٩ نبذة ٢٠٧٦ وص ٢٥٧ نبذتى ٨٤٥ و ٨٤٦، وبردى لا نكنرى طبعه ثالثة ج ١ فى التعهدات ص ٣٦٦ نبذة ٣١٦، والبندكت الفرنساوية ج ٣٦ صحيفتى ٧٢ و ٧٣ نبذتى ٤ و ١٢) انتهى من حكم نمرة ٤٣٩ سنة ١٩١٥ محكمة طنطا الابتدائية الأهلية بالجلسة المدنية الاستئنافية ـ هكذا بلغ من فقر قضائنا فى فقههم أنهم يتطفلون بهذا الاستخذاء على غيرهم ، وعندنا كتب شرعنا تكسف الشمس وهى طالعة ، وسلفنا كانوا قضاة أنزلوا السلاطين من دستهم فمثلوا أمامهم، ووقفوهم والصعاليك سواء تنفيذ اللعدل الاسلامى وإجلالا للقضاء الشرعى « أفحكم الجاهلية يبغون ! ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ »

دينا أيها الاخوان دين الحرية ودين الاخاء ودين المساواة:

دين الحرية ـ حرية النفس ، فالقرآن من أوله الى آخره ليس فيه حرف ولا كلمة تحبذ الاستعباد أو تشير به بل بالعكس كله إيجاب وتحبيب للعتق وتفتيح لأسبابه حتى أوجبه فى كفارة اليمين نظير صوم ثلاثة أيام وجعل سبع الزكاة كلها مصروفا فى فك الرقاب ومحاربة الرق . وبلغ من شغفه بحرية النفس أن قدمها على الدين نفسه فقد قرر الفقهاء أنه اذا ادعى اللقيط ذمى حر مع عبد مسلم فانه تقبل دعوى الذمى الحر عن دعوى العبد المسلم ـ قالوا لأن الحرية هى الأصل وهى الأنفع للصغير والدين نظرى بعد ذلك . وكفى بكلمة فاروقه مضربا للأمثال فى هذا الباب (لم تستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ـ وحرية الرأى ، حتى لم يقرأ فى تاريخ الأرض كلها مثل تاريخ الاسلام فى حرية الآراء وكثرة الأحزاب والمقالات السياسية والدينية فيه حتى وصلت الحرية بهم الى أن يوجد فى المسألة الواحدة أكثر من خمسين رأيا بل سبعين ـ وحرية الدين والاعتقاد . بقول قرآنه «لا اكراه فى الدين» وبأمر نبيه أن يقول للكافرين « لكم دينكم ولى دين » ثم بأمرنا تعالى ألا نجادل مخالفينا من أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن حتى كان من أبواب الدعوة الدينية تأليف القلوب بالأموال وقال لأعظم الداعين أدباً «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ولولا هذه الحرية الدينية لما بقى غير دين الاسلام فى جميع المملكة العثمانية أيام عزها وشموخها بأنفها اذ ملكت مجتمع القارات الثلاث فى زمن السلطان سليمان القانونى الذى كان كرسيه ملجأ العالم أجمع ، فاستفتى المولى أبا السعود افندى أن يجبر رعاياه غير المسلمين على الاسلام ، فأجابه المفتى المسلم : لا أيها السلطان انه لا اكراه فى الدين ـ فعدلته الفتوى عن عزمه ، وبقى بها لاخواننا دينهم فى حمى هذا الدين الكريم . وكذلك

العهد بالعلماء ، انهم أمناء بأمانته لا بهواهم فى سدانته ، حتى قرر علماء الشافعية أن الرجل الذى اذا أسلمت زوجته لا يعرض الاسلام عليه لأن فيه نقضا لعهده مع أهل الذمة أن يتركوا وما يدينون . فقضوا بأن يبقى عهدهم نقيا حتى من أشباه هذه الشبهات خيفة أن يظن التأثير عليه بهذه الحال . دين الاخاء الذى يقول صاحبه « وكونوا عباد الله اخوانا » ودين المساواة الذى يقول صاحبه « الناس سواسية كأسنان المشط » ويقول قرآنه « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ويأمر شرعه لأهل ذمتنا بأن يكون لهم مالنا وعليهم ما علينا . دين الحب والألفة بين الناس جميعا ، وصاحبه هو الذى يقول « أحب للناس ما تحب لنفسك » ودين العدل والاحسان وايتاء ذى القربى والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . دين الاشتراكية الصحيحة الذى يجعل قرآنه من وصف أهله « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ويوجب الزكاة لصالح الهيئة الاجتماعية بنظام لو اتبع لما وجد بؤس ولا بائسون ـ حتى انه أوجب النفقة على بيت المال للمعوزين الذين لا عائل لهم ، ووضع من عشرات القرون النظرية المجددة الآن بأن الربح بين العامل وصاحب العمل سواء فى قوله تعالى « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه سواء . أفبنعمة الله يجحدون ! » وقال عليه الصلاة والسلام « خولكم اخوانكم أطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكسون » ولم يكتف بهذا الفيض الدنيوى ، فقد سوى بين السيد والخادم فى دخول الجنة على الخير يشتركان فيه هذا بأمره وهذا بعمله ، روى الحاكم والطبرانى فى الأوسط عن أبى

هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل ليدخل بلقمة الخبز وقبصة التمر ومثله مما ينتفع به المسكين ثلاثة الجنة: رب البيت الآمر به والزوجة تصلحه والخادم الذى يناول المسكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى لم ينس خدمنا » دين المرأة الذى رفع قدرها ، وسمى أعظم سور القرآن باسمها ، ووضعها بجانب الرجل حتى ان اشتراك النساء فى الانتخاب الذى يعد الآن من مفاخر الممالك التى أقرته قال به فى أعظم مسائل الانتخاب وهى انتخاب الخليفة . فللمرأة حق البيعة كالرجل ، وكان النساء يبايعن النبي كالرجال سواء، وأمره الله أن يبايع لهن كما بايع للرجال فى قوله « اذا جاءك المؤمنات يبايعنك..الآية» وأباح المرأة أن تتولى جميع وظائف القضاء والافتاء الا الحد والقصاص ،وجعل لها حرية الاختيار فى الزواج وحق الانفراد وحدها بادارة مالها . كما وضعها فى التشريع بجانب الرجل سواء بسواء فى الحقوق والواجبات حتى فى ذكر الآيات : المؤمنون والمؤمنات والصائمون والصائمات والمتصدقون والمتصدقات .. الى آخر ما هنالك مما لا أطيل به الآن ، أيها الاخوان ، فى فرنسا أم الحرية لا تتصرف المرأة فى مالها الا باذن زوجها ، ولا يعقد المرأة على زوج مهما رشدت الا برضا أبويها ، بل كذلك الرجل فى الزواج مع أن الزواج مدنى . فازاء هذه النظرية اسمعوا ما جاء فى الحديث عن عبد الله ابن بريرة قال: جاءت فتاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله ،ان أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته ، قال . فجعل الأمر اليها ولم ينفذ عليها كلام أبيها بل جعل الخيار لها فى النكاح كما تريد . فلما رأت هذا قالت: قد أجزت ما صنع أبى . ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس الى الآباء من الأمر شىء.

دين الآداب الدولية الذى سن من عشرات القرون وجوب الاعلان الحربى قبل البدء بها فى قوله تعالى « واما تخافن من قوم خيانة فانبذاليهم على سواء » وأوجب حسن معاملة الأسير ووعد عليه أحسن الجزاء فى قوله « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ورفع القتل عن الأسارى . وجعل للامام أن يمن عليهم أو يفادى بهم أسارى لا نقودا يبيعهم بها فى قوله « فاما منا بعد واما فداء » حتى قال شاعر الاسلام :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وأمر فى الحرب بمراعاة النساء والأطفال والشيوخ والعجزة والرهبان فلا تتعرض لهم ، ولم يسن الجهاد للهجوم بل للدفاع ولذلك وبعد اعلان الحرب لا نبدأ بالقتال حتى يقاتلونا ولا نوقد الحرب الا مجازاة ومعادلة لا بغيا وعدوانا ، وفيها قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه ابن تيمية « لا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً » الى غير ذلك مما أمر به فى الجهاد من العدل وترك العدوان اتباعا لقوله تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » ولقوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » ولم يجعل بيننا وبين من لم يقاتلنا جفاء ولا حقداً فى قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون »

بجانب هذه المبادىء السامية التى يتطال المسلم برأسه علوا وفخرا بسموها وشرفها أذكر متشدقا مالئا فمى بالاسلام والتغنى بمدائحه فأقول

عن أصل هذه المبادىء وأشباهها فيه : انه دين العدل أو دين العدالت على رأى الدستور العثمانى ولغة حمير ـ العدالة المطلقة التى لا تعرف أمامها حوائل وفروقا ـ العدالة التى يستوى فيها صاحب هذا الدين ورافضه ـ العدالة التى تمسك بها أصحابه الأول فسادوا وشادوا لأنهم فهموها كما أمر غيثا عاما غدقا يمطر الدنيا فيعم سا كنيها لا جنسية فيه ولا عنصرية ولا عصبية ولا أقلية ولا أكثرية ، بل هو العدل للناس سواء وحكمه على الناس سواء وأثره فى الناس سواء وعاقبة تركه فيهم كلهم سواء منهم المسلم وغيره ـ قضى بذلك أحكم الحاكمين ورب العدل الذى أنزل هذا الدين .

قال ابن تيمية فى أول رسالة المظالم المشتركة : العدل واجب لكل أحد على كل أحد فى جميع الأحوال ، والظلم لا يباح بحال ، حتى ان الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار فى قوله تعالى « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » والمؤمنون كانوا يعادون الكفار بأمر الله فقال تعالى لا يحملكم بغضكم للكفار على ألا تعدلوا عليهم بل اعدلوا عليهم فانه أقرب للتقوى .

وفى رسالة الحسبة قرر حكم العدل وأنه لا يحابى مسلما ولا كافرا ، فمن أقامه قامت دولته ومن أماله ذهبت قوته قال (أمور الناس تستقيم مع العدل الذى فيه الاشتراك فى أنواع الاثم أكثر مما تستقيم مع الظلم فى الحقوق وان لم تشترك فى اثم ، ولهذا قيل ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ، ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليس ذنب أسرع عقوبة من البغى وقطيعة الرحم » والباغى يصرع فى الدنيا وان كان مغفورا له ومرحوما فى الآخرة ، وذلك أن العدل نظام كل شىء فاذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وان لم يكن لصاحبها فى الآخرة من

خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الايمان مايجزى به فى الآخرة)

يالله ! ما أجمل وأحسن ! ان ذلك الدين الذى رفع العدالة الى تلك المرتبة أسقط الظلم الى الحضيض ، ولعن الظالم أى طرده وأبعده عن رحمة الله وسلب منه الشفاعة النبوية المدخرة للعصاة والمذنبين ، بل لم تقبل من الظالم شهادة أن لااله الاالله التى هى أصل الايمان . روى الطبرانى فى الأوسط عن صاحب الشريعة الاسلامية : ثلاثة لا يقبل الله لهم شهادة أن لا اله الا الله ، فذكر منهم الامام الجائر ـ وفى الحديث القدسى عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أنه قال « ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » رواه مسلم والترمزى وابن ماجه ، وفى رواية أحمد وأبو يعلى والطبرانى والبزار عنه صلى الله عليه وسلم « ان للأمراء على الرعية حقا مثل حقه على أمته مافعلوا ثلاثا : ان استرحموا رحموا ، وان عاهدوا وفوا ، وان حكموا عدلوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » وقال « صنفان من أمتى لن تنالهما شفاعتى : امام ظلوم غشوم وكل غال مارق » رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات ، ومن هنا قال أبو منصور : من قال للسلطان الذى بعض أفعاله ظلم عادل فهو كافر ـ كذا نقله ابن عابدين عن التتارخانية من كتاب الردة فى باب الجمعة .

ولو ذهبت أتلو عليكم آيات الكتاب الحكيم فى الظلم واستنكاره وأثره فى الأمم ودعوة الاسلام لتجنبه والتمسك بالعدالة والتفيء فى ظلالها لطال بى المطال ولما أتيت بجديد ، فحسب القرآن أنه كتاب العدل الربانى الذى قص سير الأولين وعاقبة الظالمين وقرن الكفر بالظلم وقارنه به فى كثير من آياته وسوره مما ظهرت آياته فينا وحقت أحكامه علينا وعلى معاصرينا ، وصدق الله فى قوله « ونترل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا » دين الحق ،

وكفى الاسلام فخرا سورة العصر « بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »وعن نبيه عليه السلام فى هذا الباب لباب الحق وحبه والحث عليه والعمل به بما لا يمكن أن يكون أفضل منه أو أولى بالرواية عنه . وهذا حديث تقديس الحق نقله عن كتاب المنذرى العالم المسلم المصرى بروايات تعددت وفى مواطن تكررت لمناسبات اقتضت ، فعن معاوية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتقدس أمة لايقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » رواه الطبرانى ورواته ثقات .ورواه فى الكبير عن خولة بنت قيس بلفظ « ماقدس الله أمة لايأخذ ضعيفها الحق من قويها غير متعتع » وعنها قالت «كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسق من تمر لرجل من بنى ساعدة . فأتاه يقتضيه،فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الأنصار أن يقضيه فقضا تمرا دون تمره. فأبى أن يقبله .فقال :أتردعلى رسول اللهصلى الله عليهوسلم ؟ ! قال : نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله ؟ فما كتحلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدموعه ثم قال : صدق ، ومن أحق بالعدل منى ؟ لاقدس الله أمة لايأخذضعيفهاحقه من شديدها ولا يتعتعه » ورواه بنحوه الامام احمد من حديث عائشةباسناد جيد قوى . وروى هذا الحديث أيضا أبو يعلى ورواته رواة الصحيح ورواه ابن ماجة بقصته ولفظه ، قال « جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم يتقاضاه دينا كان عليه ، فاشتد عليه حتى قال : أخرج عليك الاقضيتنى . فانتهره أصحابه فقالوا : ويحك تدرى من تكلم ؟! فقال: انى أطلب حقى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :هلا مع صاحب الحق كنتم ؟!

ثم أرسل الى خولة بنت قيس فقال لها : ان كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيك فقالت : نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله ، فاقترضه فقضى الأعرابى وأطعمه . فقال : أوفيت أوفى الله لك . فقال : أولئك خيار الناس ، انه لاقدست أمة لايأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع » ورواه البزاز من حديث عائشة مختصرا ، والطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد جيد .

أيها الاخوان ؛

هذه أمم أوربا قاطبة فى حروبها رأت الخمر أعظم شرورها وأم الخبائث فيها خرمتها ومنعتها على شعوبها وجنودها ، وجدت أمريكا واستقامت فى طريق الاصلاح خرمتها أبداً ومنعتها بتاتا وسنت لها القانون الصارم ليجتثها من أصلها اذ رأت كما قال القرآن أن اثمها أكبر من نفعها ، فلم تبال بثلثمائة مليون جنيه تخسرها من وراء ذلك فى صناعة الخمر وتجارتها ـ أمريكا أعظم الشعوب مدنية ورقيا أباحت الطلاق ، والمانيا التى شهد لها أعداؤها صرحت بتعدد الزوجات ، ومن أدهش المدهشات ما قرأته أمس فى وادى النيل نقلا عن جرائد ايطاليا وفرنسا أن الايطاليين والفرنسويين يقومون الآن على حكوماتهم طالبين منع الزنا وتحريمه واغلاق مواخيره وألا يفتح لهذه الينابيع الفوارة بالأمراض القتالة باب بعد هذا يحميه القانون كأنه يحمى الأمة دار المنون ، وفى تلغرافات اليوم أن مؤتمرا اجتمع فى مدينة كان وقرر منع البغاء ومطالبة حكومة فرنسا بتنفيذ ما رأى لصالح الهيئة الاجتماعية ـ هذا ما كان فى ايطاليا وفى فرنسا ، فاما انجلترا فان الزنا حرام فيها لم يحل ، والقانون عندهم يعاقب من يجنح الى تلك الفحشاء ، وحكم الاسلام سار الآن فى اليابان

من رجم الزانى ـ وهكذا أيها السادة اذا رقت الشعوب رأت الفضائل والرذائل فتحلت بالأولى وقعت الثانية . ولقد كنا فى ذروة الدهر عند هذا المرتقى : أتم الله علينا نعمته ورضى لنا الاسلام دينا ، فكفرنا بالنعمة ولم نرض بما ارتضاه لنا فأنزلنا من عالينا وسلط علينا من أعمالنا مانستحقه فان لم نتلاف اليوم مافرطنا فيه أمس فلا حياة لنا فى الغد . «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »

روى ابن ماجه والبزار والحاكم والبيهقى ولفظه عن ابن عمر قال« كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف أنتم اذا وقعت فيكم خمس، وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن : ماظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية الا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، وما منع قوم الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، وما بخس قوم المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولا حكم أمراؤهم بغير ماأنزل الله الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض مافى أيديهم ، (وفى رواية ابن ماجه واذا أخفرت الذمة أديل الكفار ـ أو كلمة نحوها)وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه الا جعل الله بأسهم بينهم»

وفى كتاب مالا بد منه : قال العباس لما استسقى به الناس « اللهم انه لاينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة ، وقد توجه بى القوم اليك لمكانتى من نبيك،وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» قال الراوى : فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس .

« ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم

من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء ـ أولئك فى ضلال مبين »

«للذين استجابوا لربهم الحسنى. والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به ـ أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد»

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»

«بسم الله الرحمن الرحيم ـ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير ، وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله . وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير . الى الله مرجعكم وهو على كل شىء قدير »

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين ، أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين»

«ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا . ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به . واعف عنا واغفر لنا وارحمنا : أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»

«انتهى»

3 1761 07296184 0

BP
179
S84
1922